إنهم يقرؤون ويتدبرون

١) ثلاث سنين قضيتُها في العلاجات والأطباء والأعشاب؛ لأرزق بطفل، وفي يوم ما، وبعد أن قاربتُ الوصول إلى اليأس، كنتُ أقرأ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فقلتُ: إذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فهو قادر على أن يخلق جنينًا في رحمي، وما هي إلا أيام معدودات حتى حَمَلْتُ، وأنعم الله عليَّ بطفلتي الجميلة، فله الحمد والشكر.

٢) بعد سلوكي طريق الاستقامة هجرني القريب، ولامَني البعيد، وأحسستُ بالوحشة، بدأت بلَوم نفسي لعلي أخطأتُ الطريق، وفي يوم بلغ الأمر مبلغه، وأنا أقرأ حزبي من القرآن استوقفتني آية: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ فعاد السكونُ إلى قلبي، وأحسست ببرد اليقين.

٣) كنت أقومُ ببعض المعاصي، طاعة لزوجي، مع أنها محرمة؛ تَجنُّبًا لغضبه، حتى قرأتُ ذات مرة الآية: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فارتجف قلبي، وارتعدتْ فرائصي، وبكيتُ خوفًا، وعاهدتُ الله ألا أعصيه ولو غضب زوجي.

٤) لقد تأثّرتُ بآية في كتاب الله، وكانت سبيلي للهداية، وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ فقد كنتُ أردِّدُها في نفسي وأنا ذاهبة للكلية وخارجة منها، وفي أغلب أحوالي، مع خوف واستشعار لهذه الآية، والحمد لله تَغيَّر حالي، واهتديتُ بفضل الله، وأصبحتُ حافظة لكتاب الله، نسأل الله الثبات.

٥) كثيرًا ما أشعر بتأنيب لنفسي عند كسلي في القيام بما يجبُ على مثلي وأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ فكنتُ إذا قلتُ قولا، ثم تكاسلتُ في فعله أهذِّب نفسي بهذه الآية، فأفعل هذا الأمر من غير تكاسل، ولله الحمد.

٦) كانت لي قصةٌ مع هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ فقد كنتُ طالبة بالتحفيظ وتدبَّرتُها، وأثَّرتْ على سلوكي فجاهدتُ حتى بَلَّغني ربي مستوى ومكانة عالية في قلوب الجميع، ولله الحمد.

٧) كادت الشهوةُ ترديني الهاوية -عياذًا بالله- حتى تدبَّرتُ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ جَعلتُ أردِّد وأتدبّر: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾؛ فصغرتْ الشهوة في عيني.

٨) حَدَثَ بيني وبين أحد إخوتي سوءُ تفاهم؛ فأرسلَ رسالةَ جوال تحمل اتهامات باطلة، وظنونًا سيئة، وكلمات مؤلمة؛ فغضبتُ وكدت أن أدفعَ الإساءةَ بمثلها، فقرأتُ قولَ أحد ابني آدم: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾فعلَمتُ أنّ المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصْبَ عينيه، ولا تغلبه حظوظ النفس، وتأخذه العزة بالإثم؛ فآثرت كظمَ غيظي، والعفو عنه، والإحسان إليه.

٩) كان بيني وبين الصُّحبة الصالحة بعضُ المشاكل، حتى وسوس لي الشيطان تَركَهم، فقرأتُ قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ فكان ذلك أعظمَ مثبِّتٍ لي معهم، وعلمتُ أنه «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

١٠) كنتُ أُصلّي بالناس في صلاة التراويح، فلما قرأتُ في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ تأثرتُ كثيرًا، وبكيتُ بكاءً وجدتُ له طعمًا ولذة، وطال وقوفي عندها، وأنا أتأمّل كفاية القرآن، وما فيه من الرحمة والذكرى.

١١) ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ كنتُ سابقًا أهتم في شؤون الحياة كثيرًا، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكَّرْتُ في هذه الآية؛ أيقنت أن الله جل وعلا هو المدبِّر المتصرِّف في خلقه، وأن على المؤمن أن يتوكّل على الله، ويعمل بالأسباب.

١٢) في ظِلِّ التقلُّبات والاضطرابات العالمية والإقليمية، ما قرأتُ هذه الآية إلا أضافتْ إلى نفسي نوعًا من الاطمئنان، وهي قول الحق تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

١٣) حفظتُ القرآنَ وعمري (١١ عامًا)، ثم ضَيَّعتُ ما حفظتُ، ثم وقفتُ يومًا متدبِّرًا لهذه الآية: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ فعَقدتُ العزمَ مستعينًا بالله؛ فراجعتُ القرآن وأتقنتُه، وحَصَلْتُ على إجازتين في الإقراء، وأصبحتُ إمامًا وخطيبًا لأحد المساجد.

١٤) كنتُ أستغفرُ وأتوبُ باستمرار، فجاءني الشيطانُ قائلًا: كلُّ هذا الاستغفار! ولا فرج ولا إجابة! فتركتُ وساوسَه، فقرأتُ رسالةً عظيمةً من ربي، وهي قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ فقلتُ: نعم! والله إن ربنا لغني عنّا، وعن تعذيبِنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيرًا منها، فأَدَمْتُ الاستغفار، والحمد لله.

١٥) كنتُ كثيرةَ العصيان في أوقات الخلوة، وأَشْعُرُ بالندم وأنا لوحدي، وبعد فترة كنتُ مع رفقة صالحة، وتذكّرتُ أمري، ودعوتُ اللهَ أن يغفرَ لي، وأمسكتُ المصحف؛ فوَقَعَتْ عيني على قوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ فبكيتُ، وعزمتُ على تزكيةِ نفسي؛ لتكونَ أهلًا للمغفرة.

١٦) ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ هذه الآيةُ كانت درسًا لي، عندما قرأتُها شَعرتُ كأني المخاطبة.. أريد الجنة، وأريد رؤيةَ الله سبحانه! لكن أين العمل؟! ومن لحظتها قرَّرتُ الاجتهادَ في العمل الصالح.

١٧) من أعظم الأشياء التي كانت تصدُّني عن التوبة: تلبيس الشيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأني صاحب ذنب لا يُغتفر؛ حتى قرأت: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ إلى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فإذا كان الله فَتَحَ بابَ التوبةِ لمن نَسَبَ له الصاحبة والولدَ فكيف بمن دونه!

١٨) أنا طالبُ علم، وذاتُ مرّة توقَّفتُ عند قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فبكيت كثيرًا على ضياع ليالٍ كثيرة، وأنا لم أشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاءُ مفتاحًا لبدايةٍ أرجو أن لا تتوقف حتى ألقى ربي.

١٩) ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ من عشرين عامًا كُلّما قرأتُها أشْعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلتُ في الأسبوع، وأعلم أن السيئات كُتِبت ورُفعت إلى يوم الحساب، ولن يُنجيني سوى كثرةِ الاستغفارِ والتوبة.

٢٠) قد يَضيقُ صدرُك إذا سمعت ما يؤلمُك، وقد تحزن لذلك، وقد تهتمُّ كثيرًا، فتحتاج لمن يرأفُ على قلبك، ويُذهبُ ما أهمك، تدبَّرتُ أواخر سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ فوجدتُ العلاجَ الشافي الكافي، فيا لعظمة هذا القرآن وجميل لذته!

٢١) ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ أذْكرُ أنني في ليلة اختلفت مع زوجي وغضبتُ، وبعد أن خَرَج من المنزل أخذتُ المصحفَ لأقرأ، وبدون تعمُّد فتحتُ صفحة وبدأت أقرأ، حتى مررت بهذه الآية، ووالله لكأنني أول مرة أعلمُ أنها آية من كتاب الله، فردَّدتها مرارًا فوجدتُ بردَها على قلبي، وهدأ غضبي وقرَّرت الصَّفحَ عن شريكِ حياتي استجابةً لأمرِ ربي.

يسمعون ويتدبرون

١) كان لي موعدٌ بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قولَه تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فتذَكَّرتُ ما أنا فيه من الخير والنعيم .. واستحييت، فأحمدُ الله على التوبة.

٢) كنتُ في ما مضى غافلًا لاهيًا لا أفكر إلا في مصالحي .. وذاتُ مرة –وأنا أصلي– سمعتُ الإمام يتلو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وكنتُ ممن يحفظون من كتاب الله لكني مقصِّرٌ في العمل، فخشع قلبي لها، ومن ذلك الحين بَدأتْ حياتي تتغير، وبدأتُ أخشعُ في صلاتي، ولله الحمد والمنة.

٣) كنتُ مُعجبًا جدًا بالغرب وحضارته، وفي يوم من الأيام كانت جدَّتي معي في سيارتي، فأخذتُ أحدِّثُها عن حضارة الغرب وتقدمهم، فتلَتْ عليَّ قوله تعالى من سورة الروم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ فأيقنْتُ أنْ لا شيء يعدل الإيمان.

٤) أشهد أن آية غيرت حياتي.. كنتُ مُولَعًا بسماع الأغاني الغربية، وذاتُ مرّة وأنا أسير بسيارتي ثم أَقْفلتُ المسجل؛ فإذا بقارئ في إذاعة القرآن يقرأ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فشعرتُ أن الله سبحانه يدعوني إلى التوبة، ومنذ ذلك الحين والأغاني من أبغض الأشياء إلى قلبي بفضل الله.

٥) كنتُ على أحد الأرصفة مع زملائي، وصدري أضيقُ من سَمِّ الخياط! فأتى أحدُ الدعاة –لا أعرفه من قبل– فوَعَظنا وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فتأمّلتها، ووقفت معها كثيرًا، وكانت سببَ رجوعي إلى الله.

٦) مما أثّر في ذلك الخطابُ المليء رِقَّةً وعطفًا، من ذلك الأب المكلوم، والمفجوع بفقد ولديه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أبَعْدَ كل هذا يناديهم بكلمة ولا ألطف منها: (يا بني)! أهذه رحمة أب بأبنائه الذين أخطأوا عليه؟! فكيف هي إذن رحمة أرحم الراحمين؟!

٧) كنتُ واقعةً في ذنب يشقُّ عليّ تركه، وفي كلِّ مرة أرتكبُه يتملّكني شعور بالضيق الشديد، وفي أحد الأيام فتحتُ المذياع؛ فإذاً بقول الله عز وجل: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ يُرتِّله أحد القراء بصوت مؤثِّر جدًا؛ فاقشعرَّ جسمي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

٨) كنتُ لا أعرفُ طريقَ المسجد! والحياةُ عندي عبثٌ في عبثٌ! فسمعتُ يومًا قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ فتأمّلتُ في حالي؛ فأحسستُ حقًا أن كل ما كنتُ فيه من لهو وعبث وضلال؛ ليس إلا لهثًا وراء سعادة زائفة! معيشة ضنكًا؛ فأطفأتُ السيجارة، وأشعلتُ أنوار الإيمان، أسأل الله الثبات.

٩) حدثني أحدُ طلابي من الجنسية الفرنسية عن رحلته إلى الإسلام فقال: حين سمعتُ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ شدتني براعة الاستهلال، والعُلوُّ والثقة والقوة المطلقة التي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنه ليس خطابًا بشريًا، فكانت هذه الصدمة البلاغية أول خطواتِ رحلتي إلى الإسلام. (أستاذ في جامعة أم القرى)

١٠) كنتُ متهاونةً في أمر الصلاة، وأعيشُ في ضيق، وتمرُّ بي أزماتٌ ومشاكل لا طاقه لي بها، وأتمنّى أنْ أجدَ حَلا.. وفي أحد الأيام سمعتُ قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فانتبهتُ و قلتُ لنفسي: إنّ ربي يأمرُني أن أستَعينَ بالصبر والصلاة، وأنا لا أزال مُفرِّطة؛ فكانت نهاية التفريط في تَعلقي بالصلاة.

١١) عندما أسمعُ أو أقرأ هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾، و: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أتساءلُ: كم سبقَنا إلى الرحمن من سابق، وتَعبَ في مجاهدته نفسَه، لكنه الآن صار من المقربين! فأعودُ إلى نفسي وأحتقرُها إذا تذكَّرتُ شديدَ تقصيرِها، وأقولَ: يا ترى أين أنا؟

١٢) كلما قرأتُ هذه الآية: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ أو سمعتُها أو ذكرتُها؛ أحس قلبي يتقطّع، إذ لا أعلمُ من أيِّ الفريقين سأكون؟ أسألُ الله أن يجعلنا من الذين: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

حلاوة التدبُّر

١) آيةٌ عشتُ معها، وأصبحَتْ منهجًا في حياتي: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ فإذا حدثّتني نفسي -خصوصًا إذا كنتُ خاليًا وعلى النت- أن أرى ما لا يرضيه سبحانه؛ جاءتْ هذه الآيةُ أمامي لتردعني.

٢) هذه الآية: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ غيّرتْ حياتي.. فأصبحتْ عباداتي وشؤونُ حياتي اليومية -مع زوجي وأبنائي ومع الصغير والكبير بل والقريب والبعيد- على أساس تعظيم شأن كل طاعة ومعروف وإحسان وبر، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسيئة والأذى مهما قَلَّ أو احتقر شأنَها الآخرين، فصِرتُ أنصحُ وآمر وأنكر بها.

٣) تغيَّرتْ حياتي بسبب قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فقد كنتُ مقصرة، وأظنُّ أن الالتزام صعب، فتدبَّرتُ هذه الآية، فأثرتْ في كثيرًا، وتفكرّتُ ماذا سيصيبني مقابل ما حصل للصحابة، وما هي الصعوبة التي أمامي؟ لا شيء! وأحسستُ أن الله شَكَر لي التغيير اليسير مني، ووفقني للالتزام بالشرعِ كلِّه بإذنه تعالى.

٤) وقع بيني وبين زوجة أخي سوءُ تفاهُم، وهي التي أخطأتْ في حقي، وبدأتُ أدعو ربي كيف أتصرّف؟ فوصلتني من جوال تدبُّر رسالة عن قوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ فعَملتُ بها، والآن أمورُنا أحسن.

٥) أقرضتُ قريبةً لي ٥٠٠٠ آلاف ريال، فلما تَذكّرتُ قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ سامحتُها، فعوّضَني الله أن قيّض لي أحدُ أقاربي فسدّد عنّي أقساطًا بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ ريال.

٦) حاولتُ -بعد عدة محاولات- الامتثالَ لقولِ الحق جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ فوجدتُ ما سرني، مع أني لم أحسن إلا بالقليل، إلا أن رحمةَ الله كانت أسبق، فسبحانه جل في علاه.

٧) ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ والله الذي لا إله غيره، لقد جَرَّبتُ الحالتين، فلَمَستُ الفرقَ الذي أثبتته هذه الآية؛ حين نَفَت التماثل بين حالةِ العاصي وحالةِ المؤمن.

٨) كلما أحاطني اليأس، وسَكبتْ عيني أدمعي، وأَقضَّ الألمُ مضجعي، أتذكَّرُ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ راجيةً ما عند ربي من ثواب، ستُّ سنوات من المرض! ها أنا أحتسب آلامَها وأوجاعَها؛ بما هو عند الله من ثواب، مستشعرةً هذه الآية العظيمة.

٩) عالجتُ مشكلةَ ضعف الخشوع في صلاتي بتذكُّر هذه الآية: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا ﴾ فكلما تذكَّرتُ الوقوفَ بين يدي اللهِ والعرضَ عليه -وأنا أصلي- زاد خشوعي حينها؛ لأن صفةَ العرضِ في الصلاة تشبه صفةَ العرض يوم القيامة.

١٠) هذه الآية غيرتني: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ فعندما تأملتُها قلت لنفسي: أنا لن أدخل الجنة حتى أنفق مما أحبه، كنتُ أحبُّ النومَ فصرتُ أتركُ منه جزءًا كبيرًا وأقوم الليل، ولمّا أضعف أتذكر الآية!

١١) كنتُ أعاني من همٍّ وضيق، فسمعتُ شرحًا لقصة موسى، ورأيتُ كيف أنه لمّا أحسن للفتاتين، وسقى لهما، ودعا ربه أتاهُ الفرجُ، وكانت عندنا مُستَخدَمة بالمدرسة فقيرة؛ فأحسنتُ إليها، وطلبتُ من الله الإحسان؛ ففرج الله همّي وشرح صدري، وصدق الله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾.

١٢) ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ كلُّ إنسان ستظهر سريرتُه وينكشفُ مخبؤه وسيظهر مستوره.. يا له من يوم.. حَقًّا لمّا تدبَّرتُ هذه الآية حرَّكتْ مكامن الخوف عندي، رغم أني أحفظها وأردِّدها. وصِرتُ أتَّقي الله في خلوتي وفيما أحفظه في سريرتي.

١٣) كنتُ كغيري أقرأ القرآن بسرعة وهذرمة، وكان همي آخرَ السورة! وكنتُ أقرأ في الساعة الواحدة ثلاثة أجزاء، فلما استمعتُ إلى كلمات أحد مشايخي عن التدبُّر وأثره في صلاح القلب، بدأتُ أدرّبُ نفسي على ذلك، فصرتُ -بحمد الله- لا أجدُ لذةً للقراءة إلا بالتدبر، حتى إني قد أبقى في الجزء الواحدِ نحو ثلاث ساعات، فأدركتُ شيئًا من معاني: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾.

١٤) آية من كتاب الله كانت سببًا بعد توفيق الله في تركي لمعصية طالما نغَّصتْ علي حياتي، هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾.

١٥) وجدتُ هذه الآية في حياتي: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فكلما وقعَتْ خصومة أو سوء فهم، تدبّرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجِد تسامحًا عجيبًا، وقناعة ورضى عن نفسي ولله الحمد.

١٦) كنتُ في طريقي في إحدى الإجازات لفعل الفاحشة وفجأة، تذكَّرتُ وقوفي بين يدي الله، وتذكَّرت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فغَيَّرت مساري، ورجعتُ لبيتي، فحمدتُ الله على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذنوب؛ بسبب تدبُّر هذه الآية.

١٧) كنتُ متأثرًا ببعض الذين سلكوا منهج ما يُسمّى بـ(التنوير)؛ لأني كنتُ أرى فيهم استقلالًا فكريًا وشرعيًا! فلما تدبَّرتُ كتابَ الله بتجرد، وتأملتُ في واقعهم وتفكيرهم، استبان لي ميلهم عن المنهج الصحيح، ورأيتُ فيهم تمييعًا لأحكام الدين، وتنازلًا بسبب ضغط الواقع، فرجعتُ للمنهج الحق، هدانا الله وإياهم للحق.

١٨) تمرُّ بنا أحيانًا ضائقة قد تبكينا أو حتى تدمينا ألمًا، ولكني أعزي نفسي بهذه الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فوجدتُ الراحة التامة، حتى وأنا في أَحْلك الظروف أبتسم، لأني أعلم يقينًا أن بعد العسر يسرين.

١٩) جَلَسْتُ مرّة مع شباب ممن انغمسوا في قراءات فكرية منحرفة، وسمعتُهم يستشهدون لأفكارهم بمقولات الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممن لم يَشمُّوا رائحةَ الوحي! -والابتسامة تعلو وجوههم!- فقلتُ لهم: هذه الأفكارُ موجودة في القرآن، ثم تلوتُ الآيات، فتمعَّرتْ وجوهُهم، فتذكرتُ عندها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾! فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكرية.

أطفالُنا والتدبُّر

١) طفلةٌ صغيرةٌ (عمرها خمس سنوات) ضَربَها أخوها الذي يَكْبُرُها قليلًا، وحينما أرادت الأمُّ أن تعاقبَ الابن؛ فوجئتْ بصغيرتها تقول: لقد سامحتُه كما فعل يوسفُ وسامحَ إخوتَه!(وكانت الأم قد قصَّتْ عليها قصةَ يوسف قبل ذلك).

٢) لي ابنٌ صغير، عندما أَعدُه بشيء ولا أُنفذُه، أو إذا شعر أني أَكذب؛ يُذكِّرني: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أتريدين هذا المصير؟! فما أجمل أن نجعلَ لأولادِنا شعاراتٍ قرآنية نتحاكمُ إليها!

إيحاءات تدبُّرية

١) ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ أعطتني هذه الآية يقينًا أنّ هذه الدنيا ممرٌّ امتحان وعِبَر، فهنيئًا لمن صبر، وحَمد ربَّه وشكر، وأنها لا تكتمل فرحةٌ فيها، ولا بد من نَكَد إما من: زوج، أولاد، جار، مرض، فقر؛ فارْتَحتُ ورضيتُ بما قَسَم لي ربي من الابتلاءات؛ لأنّ غايتي رضى الله.

٢) يقعُ مني ندمٌ كثيرٌ على أشياءَ كثيرة وقعتْ في الماضي، فتأتي هذه الآية: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ لتكون بلسمًا شافيًا لقلبي.

٣) آية تستوقفني كثيرًا: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يا له من مشهد فظيع من مشاهد المعذبين في جهنم! الأيدي مغلولة فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه! إنه مشهد يكفي لردع العاصي عن معصيته، لو تخيل أنه ربما يقع له.

٤) لقد وجدت التوبة علاجًا لداء الضيق والهموم والغموم التي أَورَثَتْها الذنوب! هكذا أوحت لي هذه الآية: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

٥) قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ فَكَّرتُ كيف هو قيامي في الصلاة؟ الله يراني فكيف َقبِل عليه في صلاتي؟ فخجلتُ عند ذلك! ورأيتُ أنّ أكثرنا لا يؤدي صلاته كما لو أنه يستشعر أنّ الله يراه، فهي مجرد حركات رياضية، لا روح فيها.

هذه رسائل كتبتها القلوب بدموع المحاجر؛ لتعبِّر عن تأثير هذا القرآن على النفوس، وكيف غيَّر حياةَ أولئك الذين تدبَّروه، فنعم العيشُ العيشُ مع القرآن، ونعم الحياةُ الحياةُ مع القرآن.

ونحن مع هذا لم نُرد أن تنقطع قوافلُ المتدبّرين للقرآن، بل نودُّ منهم أن يجعلوا من القرآنِ خيرَ صاحب ومعين في السراء والضراء، وأن لا يتوقفَ التدبُّرُ عند آية واحدة، فالقرآنُ مَعينٌ لا ينضب، وبحرٌ لا تكدّره الدلاء، وهو حبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتبعه..

لا تذكر الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح، فأطفئ القنديلا

فاللهم اجعلنا ممن يُقيم حروفه وحدوده، ولا تجعلنا ممن يُقيم حروفه ويضيع حدوده..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

تدبر الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

www.tadabbor.com

tadabbor@tadabbor.com

تدبُّر

الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

القرآن غيرني

عاشوا مع القرآن فتغيرت حياتهم

إعدادُ اللّجنةِ العِلْمِيَّةِ

الحمد لله الذي جعل القرآن هدىً للمتقين، ونورًا للمستبصرين، وهاديًا لأقوم سبيل، ومعينًا وخيرَ دليل، فهدى به من الغواية، وبَصَّر به من العمى، والصلاة والسلام على نبينا الذي كان خلقه القرآن، وعلى آلهِ وصحبِه ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الحشر والفرقان.

وبعد: فهذه كلماتٌ مختصرة، تحكي أحوال بعض من عاشُوا مع القرآن، وأثّر القرآنُ في حياتهم، فهذا تغيرت بوصلة حياته، وذاك ربّى أطفاله على التدبُّر، وثالث نقل تجربته إلى غيره، فأحببنا أن نُسَطِّرَها لكم؛ لتكون عونًا لنا على السعي الحثيث للعيش مع القرآن: تلاوة وتدبُّرًا.. وقد قمنا بتقسيم هذه الأحوال إلى عدة أقسام، حسب التناسب فيما بينها؛ لعل ذلك يكون أقرب إلى الفائدة والنفع.